# الفصل الاول

# عن الفوضى

فى عـالم مضـطرب مليء بـالمتغيرات و الأحـداث يبرز مفهـوم الفوضـى متجليًا فى أنواع شتى. فوضى سياسية، اقتصادية، اجتماعية إلخ.

ولكن ما هى الفوضى؟ ما معناها؟
الفوضى فى اللغة: هى الاضطراب و فقدان السيطرة على الأمور، و لعلك عزيزى القارئ قد تربط معنى الفوضى من فيضان الشيء، فنقول فاض الشيء أى علا و اضطرب و خرج عن حيزه.

و الفوضى ضد النظام، فإذا كان النظام هو العقد و الترتيب و الإحكام فإن الفوضى هى إخلال بالمحكمات و خروج عن الترتيب.

وبناء على هذا المعنى نرى أن الفوضى قوة مكافئة للنظام قد تتساوى معه فى المقدار أو تزيد أو تنقص وليس بالضرورة أن تكون مضادة فى الاتجاه، فإذا كان النظام هو البناء فالفوضى معول الهدم الممهد للبناء.

ولكى نفهم متلازمة النظام/الفوضى علينا أن ننظر إلى المنظومة الكونية كأوضح مثال.

مما يتكون النظام الكونى؟ يتكون من مجرات، نجوم، كواكب، مذنبات و نيازك إلى آخر مكونات هذا النظام اللامتناهى.

إذا نظرنا فى كل مجرة وكل مجموعة نجمية سنجد تركيبتها البنيوية متشابهة إلى حد كبير.. نجم فى المركز تدور حوله مجموعة من الأجرام الأخرى فى مدارات مرسومة بشكل دقيق جدًا، أغلب المجرات تتبع هذا النمط المرسوم ولكن،

تحدث كذلك فى هذه المجرات أن يخرج مذنب عن مساره، أو يتصادم كويكب مع كويكب آخر، أو تنفجر نجوم مطيحة بكل ما يحيط بها وهذا خروج عن نمط الجريان المعتاد لهذه الأجرام.

وينتج عن هذه الفوضى الكونية انهيار لنظم نجمية كاملة فى الكثير من الأحيان، وهذا الانهيار قد يسير فى أحد اتجاهين إما تكون نظم نجمية

جديدة كما حدث فى تكوين مجموعتنا الشمسية أو السير إلى الجانب المظلم و هو التحول لثقب أسود يلتهم أى مظهر للحياة تمر فى جاذبيته.

هذا المثال السابق يوضح إلى حد كبير كيف يمكن أن تخدم الفوضى فى تجديد شباب الكون، ولكن مع المعايير الإلهية لحدود هذه الفوضى،

فالقاعدة العامة هنا هى الجريان المنضبط و هذا هو النظام.. و التصادم و الانفجار و انهيار نظام كان موجود هو الفوضى.

ولكن ما يُنظَر له على أنه خروج عن النظام و أنه قوة تطيح بالأنظمة غالبًا ما يكون تمهيدًا لإقامة نظام جديد.

فالقاعدة الأزلية إذا: هى أن النظام هو الأساس، بينما الفوضى ما هى إلا عامل لتجديد النظام و تطويره عن طريق صدام قد يبدو للوهلة الأولى عشوائيًا، ولكن المتأمل فيه يجد أنه يسير وفق نسق محدد و سنتعرف عليه عندما نعرف أنواع الفوضى و مسبباتها.

ما هى أنواع الفوضى؟

إن للفوضى أنواع متعددة تتنوع بتنوع النظام و مسمياته، فالفوضى تتشكل كالماء، ولنعرض أنواع الفوضى الأهم سنتعرض لأنواع النظم و ضدها من الفوضى:

-النظام السياسى: وهى باختصار الشكل العام الذى يحدد المؤسسات العام للدولة، وكالتها، تراتبيتها، حدود صلاحية كل مؤسسة فى مجالها و مسؤلياتها و طرق الرقابة عليها.

-مثال: فى النظام الجمهورى يتكون النظام السياسى من ثلاث أضلاع (السلطة التشريعية المسئولة عن سن القوانين و التشريعات المسيرة للدولة، السلطة التنفيذية المسئولة عن تنفيذ المشاريع و خطط التشريعات، السلطة الرقابية المسئولة عن الرقابة على أداء السلطة التنفيذية، و ضمان عدم تغول أى سلطة على الأخرى و ضمان عدم تغولها عن المواطنين.

-الفوضى السياسية: هى باختصار غياب جزئى أو كلى لدور المؤسسات العامة للدولة من تشريع أو تنفيذ أو رقابة، و هو ما يؤدى للاضطراب السياسى و عجز المؤسسات عن السيطرة على مفاصل الدولة، مما قد يؤدى إلى انهيار كامل للدولة و هيبتها.

-النظام الاجتماعى: و هو باختصار محصلة تجمع مجموعة من الأفراد المتوافقين فى التفكير، و العادات، و التقاليد، و الأعراف و اللغة إلخ.. فهذه المجموعة تكون الأسر و الأسر تكون المجتمع و هذا التوافق هو ما يحدد نظام المجتمع.

-الفوضى المجتمعية: إن غياب عنصر من عناصر النظام المجتمعى (مثل غياب دور الأب أو الأم أو غياب دور المعلم عن طريق الحط من شأنه أو تهميشه أو إعلاء قيم سلبية تساعد على هدم دور الأسرة). كل هذه العوامل السلبية تساهم فى تفكك دور الأسرة، و اضطراب النسق المجتمعى الذى قد يؤدى فى النهاية بانهيار النظام المجتمعى و هو ما يهدد كيان الدولة بالتالى.

-النظام البيئى: و هو كل ما يحيط بالإنسان من عناصر طبيعية كالماء، التربة، الهواء، النبات و الحيوان و تتفاعل مع الإنسان متأثرة به و مؤثرة فيه (و هو ما يمثل نظام الموارد الذى يساهم فى تحرك النظام الاقتصادى للدولة.

-الفوضى البيئية: و هو ما ينشأ نتيجة تغول الإنسان على الطبيعة ما قد يؤدى إلى فقدان النظام البيئى لمورد من موارده بشكل جزئى أو كامل (مثال على ذلك الصيد الجائر لأنواع معينة من الكائنات ما قد يؤدى لانقراضها أو بناء سدود بشكل غير مدروس ممكن أن يؤدى إلى فقدان التربة لخصوبتها و يسهم فى عملية التصحر إلخ...

-النظام الدينى: و هو النظام المتكون من المنهج الدينى الذى يحكم الحياة الروحية للبشر (سواء كان هذا المنهج سماوى أو وضعى) بالإضافة إلى العلماء الّذين يتخصصون فى شرح هذا المنهج و توصيله بالشكل الصحيح

إلى الأفراد ما يسهم فى الارتقاء بأخلاقهم و إسهامهم بشكل أكثر إيجابية فى النظام المجتمعى (و بالطبع يكون هذا الارتقاء مرتبطًا بصحة المنهج و عدم انحرافه عن المعيار الإلهى.

-الفوضى الدينية: تنشأ نتيجة انحراف المنهج عن السلوك القويم (مثل المناهج الوضعية المخالفة للمعيار الإلهى) أو تحريف هذا المنهج من العلماء لأغراض دنيوية مثل منافقة سلطان أو بسط سيطرة ليست من حقهم ما ينتج عنه ازدياد معدلات التطرف أو الإلحاد و يزيد من معدلات التشاحن بين أفراد المجتمع و انحدار الأخلاق ما قد يؤدى إلى ارتفاع معدلات العنف و قد يصل إلى حد الاقتتال الداخلى.

-النظام الأمنى: هى العناصر التى تحكم قدرة الدولة فى الدفاع عن ممتلكاتها و مجتمعها و مواردها الطبيعية داخليًا و خارجيًا (مثال ذلك القدرة الاستخباراتية المعلوماتية للدولة و النظام القانونى و الجنائى و القدرة العسكرية من تسليح و لوجستيات و التدريب المتقدم الذى يساعد الدولة فى التنبؤ بالتهديدات و مواجهتها.

-الفوضى الأمنية: تنشأ نتيجة العجز فى أحد أو كل عناصر النظام الأمنى (نقص تدريب، أسلحة غير كفؤة، ضعف أو غياب القدرة المعلوماتية، نقص اللوجستيات، كوادر قيادية غير مناسبة إلخ..)، و هو ما يؤدى إلى

تعرض الدولة للتهديدات بوقوعها فريسة لمؤامرات الخارج أو التهديدات من المنحرفين داخليًا.

**و الفوضى قد يكون لها تصنيفات أخرى مثل:**

-الفوضى التسلسلية: و هى الفوضى المترتبة عن فقدان الدولة السيطرة على عناصر النظام نتيجة أحد العناصر سابقة الذكر .

-الفوضى المفتعلة: و هى إحداث اضطراب فى أحد النظم الفرعية بالدولة عن طريق استغلال خطأ معين داخل النظام بهدف الوصول إلى حالة الفوضى التسلسلية بشكل سريع.

**مثلث الفوضى :**

مثلث الفوضى هو مجموع العوامل التى تؤدى إلى نشوء حالة الفوضى، و هو مثلث واحد على مر العصور و فى كل الأنظمة المختلفة لن تجده مختلفًا. أضلاع هذا المثلث كالآتى:

-الهدف: لخلق حالة الفوضى لابد من تحديد الهدف من الفوضى، و التى تكون فى الغالب هدفًا واحدًا موحدًا هو السيطرة على موارد منطقة معينة لصالح المستفيدين، أو لإضعاف قوة دولة معينة فى مواجهة دولة أخرى، و هذا يصب أيضًا فى صالح خدمة الهدف الأول. و الهدف قد يكون إحداث

فوضى جزئية أو فوضى شاملة فى النظام تبعًا لرغبة المستفيد فى بقاء النظام بشكل جزئى تابع له أو تدميره بشكل كامل.

-النخبة المستفيدة: هى الفئة التى يهمها إحداث حالة الفوضى لضمان استمرارية تدفق مواردها وعدم انقطاعها عن طريق النظام، وضمان سيطرتها على مفاتيح الأمور داخل الدولة وهذه النخبة المستفيدة تكون إحدى نوعين:

•النخبة الخارجية: وهى فى الغالب تكون قوة مسيطرة عالميًا يهمها فى المقام الأول ضمان استمرارية سيطرتها عالميًا، وعدم السماح لأى نظام ناشئ بالصدام معها ونزاعها سلطانها.

•النخبة الداخلية: وهى الأقل شأنًا من النخبة الخارجية ويكونون فى الغالب هم الفئة المستفيدة من التعامل مع النخب الخارجية، والّذين يهمهم ضمان استمرارية العطايا والمنح من النخب الخارجية وهؤلاء من فئة الولاء لمن يدفع أكثر أو الولاء للأقوى.

-الخطأ: هو العامل الأكثر فى مثلث الفوضى لدرجة أننا ممكن أن نقول أن الفوضى هى طفل الخطيئة، فالخطأ بالنسبة للفوضى بمثابة الأكسجين بالنسبة للهب، لا يمكن إشعال الفوضى من دون وجود خطأ فى النظام. و الخطأ قد يكون متعمدًا من أحد شخصيات النخبة الداخلية المدسوسة

داخل النظام من أجل إشعال الفوضى، أو قد يكون غير متعمد من أحد شخصيات النظام، ولكنه يمكن استغلاله داخليًا أو خارجيًا من أجل نفس الغرض (يستوى هنا السهو مع التعمد) ويتوقف هذا على قدرة المستفيد من استغلال الخطأ بسرعة وإشعال الفوضى قبل أن يعالجها.

وعنصر الخطأ بالذات أشبه بمرض السرطان إذا لم يتم اكتشافه وعلاجه مبكرًا فإنه ينتشر كالورم الخبيث داخل النظام مسببًا فشلًا كاملًا للنظام قد يؤدى لانهياره بعد فترة زمنية معينة.

وللتذكرة فإن أى نظام ينشأ مخالفًا للمعايير الإلهية الموحدة للكون هو نظام محكوم عليه بالفناء مهما طال زمنه وتكون نهايته فى الغالب عن طريق واحد فقط.. الفوضى.

بسم الله الرحمن الرحيم ... (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ( 11 ) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ( 13 ) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ( 14 ) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ( 15 ) (الأنبياء، 11-15).

وسوف نرى فى الفصول التالية نشأة وتطور مفهوم الفوضى مع الإنسان منذ بداية خلقه مرورًا بتطور الممالك القديمة والوسطى وحتى العصر الحديث.

obeikandl.com